## الرسائل

تعد الرسائل من الفنون النثرية التي حفلت بها صناعة الكتابة، وقد تنوعت أساليبها بتنوع أغراضها ومراميها، وهي : الرسائل الديوانية (الرسمية)، والرسائل الاخوانية (الشخصية)، والرسائل الادبية العامة (المقالية).

وقد عرفت الرسائل بمختلف أنواعها في النثر الفني الاندلسي عند طائفة من الكتاب معظمهم من كبار الشعراء الاندلسيين من أمثال ابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب.

وإذ تأثر هؤلاء الكتاب في نثرهم بعامة ورسائلهم بخاصة بأساليب النثر العربي في المشرق، المتمثلة في الجاحظ وابن العميد والقاضي الفاضل فإنهم استطاعوا أن ينشروا فناً راقياً.

وفيما يلي عرض لأهم رسائلهم بمختلف أنواعها، مع نماذج لها توضح خصائصها وسماتها.

### أولاً: الرسائل الديوانية (الرسمية)

هي سجل تدون فيه أحوال السياسة وطبيعة المشكلات التي تعترضهم والأساليب المتبعة في معالجة تلك المشكلات وحلها. أوهي تلك الرسائل التي تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك، لتصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة والعمال وقادة الجيوش، وقد تُوجَّه الى الاعداء على سبيل التهديد والوعيد. وكان لكل خليفة أو ملك كاتبه الذي يتولى الكتابة نيابة عنه في كل ما يخص أمور الدولة من رسائل وعهود ومبايعات وغيرها. وتوافرت في هؤلاء الكتاب ثقافة لغوية وأدبية ودينية. ومن أبرزهم ما ورد على لسان أبو حفص بن برد الاصغر في كتاب مبايعة ، يقول فيه:

" بايع الامام عبدالله فلان بانشراح صدر وطيب نفس ونصاحة جيب وسلامة غَيب، بَيعة رضا واختيار، لا بيعة إكراهٍ واجبار، على السمع والطاعة، والمؤازرة والنصرة، والوفاء والنصيحة، في السر والعلانية، والجهرِ والنية، والعمل على موالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، من بعيد و قريب، وغريب ونسيب"

فقد حفلت الرسالة بالسجع والصور البيانية من استعارات وكنايات لطيفة.

**ثانياً: الرسائل الاخوانية (الشخصية)**

**هي الرسائل التي تعكس العلاقات بين الأصدقاء والأصحاب من الأدباء في أحوالهم المختلفة. أوهي ضرب من الرسائل المتبادلة بين الاخوان والاصدقاء، والخلصاء، تدور حول العلاقات الاجتماعية والمشاعر الخاصة من عتاب وشكوى ومديح ورثاء وهجاء، ومن تهنئة وتعزية واعتذار واستعطاف.**

**وساعد على اذاعتها بين الناس ظهور طبقة من الادباء والكتاب ، عنيت بتجويد الكلام واحتفلت بأساليبه، وممن برع فيها ابن برد الاصغر، والفتح بن خاقان، ولسان الدين بن الخطيب. وقد تعددت موضوعاتها تبعا لتعدد المشاعر والاحاسيس التي يتصف بها أصحابها، ومنها:**

1. **رسائل العتاب**

**ويلجأ اليها الكتاب لازالة جفوة بين الاصدقاء، من ذلك ما كتبه ابن برد الاصغر في عتاب صديق يقول فيها:**

**"أظلم لي جوُّ صفائك، وتوعَّرت عليَّ ارضُ إخائك، وأراكَ جَلْد الضمير على العتاب غيرُ ناقعُ الغُلة من الجفاءِ، فليت شعري مالذي أقسى مُهجةَ ذلك الوُدِّ، وأذوى زهرة ذلك العهد؟**

**ويبدو تأثر الكاتب بأسلوب ابن العميد، فقد راوح بين السجع والازدواج، وجسَّم معانيه باستخدام الاستعارة.**

2. **رسائل الشكوى**

**وكان الكتاب يبعثون بها الى أولياء الامر، من ذلك ما كتبه الفتح بن خاقان إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وفيها يشكو إليه وزيره أبا العلاء زُهر بن عبدالملك : " أطال الله بقاء الأمير الأجلّ سامعا للنداء، دافعا للتطاول والاعتداء، وأوطأ لكَ عِقباً، وأصارَ من الناسِ لِعونِكَ منتظراً ومرتقباً، إلا أن تكون للبريّةِ حائطاً، وللعدلِ فيهم ولاينالَ أحدهم اهتضام، ولِتَقصرَ يدَ كلِّ معتدٍ في الظلام".**

**ويعد أسلوبه امتداداً لاسلوب ابن العميد، إذ التزم بالسجع، واستعمل بعض ألوان البديع كالجناس والطباق، وجاءت عباراته قصيرة، زاوج فيها بين الجمل الخبرية والجمل الانشائية.**

3. **رسائل في السؤال عن الصديق**

**وقد اعتاد الكتاب في السؤال عن الصديق، أن يعبروا عن لواعج أشواقهم، والصبر على فراقهم، ومنها رسالة طويلة بعث بها الوزير لسان الدين بن الخطيب إلى صديقه ابن خلدون في الشوق إليه، بعد استهلالها بقصيدة من اثني عشر بيتاً:**

**تركتموني بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصيانا**
**أقرع سني ندمـــا تارة وأستميح الدمع أحـــيانا**

**ومما جاء في رسالته:**

**" أما الشوق فحدِّث عن البحرِ ولاحرج، وأما الصبر فسل بهِ أية درَج، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج...".**

**ثالثاً: الرسائل الادبية**

**وهي رسائل ينشِئها الكتاب والادباء عامة وتكون في موضوعات أدبية بعينها، مثل رسائل ابن زيدون، ورسائل أبي الحسين بن سراج الموسومة بالزرزوريات، ورائل عبدالله محمد بن مسلم الموسومة بـ (طي المراحل).**

**أ. لابن زيدون رسائل أدبية، منها: الرسالة الجدية، والرسالة البكرية، والرسالة المظفرية، والرسالة العامرية، والرسالة العبّادية، وأهم هذه الرسائل اثنتان: الرسالة الجدية، والرسالة الهزلية، وهما وثيقتا الصلة بحياة ابن زيدون.**

**"رسالة التوابع والزوابع"**

**من أشهر أعلام عصر الطوائف والمرابطين ابن شهيد الأندلسي ت426هـ وهو واحد من الذين كتب لهم التفوق والابداع في ميادين الشعروالنثر والنقد، وتبدو براعته في رسالته التي سماها برسالة التوابع والزوابع أو ما سميت بـ "شجرة الفكاهة"، وهي رسالة خيالية كتبها ابن شهيد الاندلسي متصوراً نفسه في رحلةٍ مع جني يسميه "زهير بن نمير" يرحل به إلى أرض الجن حيث يلتقي هنالك بتوابع الشعراء وزوابعهم.**

**فكرة الرسالة: مفادها أن الشاعر إفترض هذه الرحلة إلى عالم الجن ليقابل الشعراء والكتاب العرب ممن سبقوه.**

**مضمونها: جعل ابن شهيد صدر رسالته مدخلاً مناسباً ليعلل به رحلته إلى عالم الجن فقد أورد على لسان أبي بكر بن حزم إعجابه ببراعته الشعرية – على صغر سنه – حيث عزاها الى تابعةٍ تنجده وزابعةٍ تؤيده؛ لأن تلك الشاعرية ليست في قدرة الانس. ويعلل ابن شهيد براعته الشعرية الى أنه في مطلع حياته مات من كان يهواه فجزع عليه جزعاً شديداً وأرادَ رثاءه فاستغلق عليه ثم نظم أبياتاً قليلة وأُرتج عليه القول ثم أسعفه فارس يمتطي فرساً أدهم ويصيح به، أعجزاً يا فتى الإنس؟ ثم يجيز أبياته ويسأله ابن شهيد عن شخصيته فيخبره بأنه زهير بن نمير من أشجع الجن وتتفق الصحبة بينهما وتتأكد المودة.**

**جعل الفصل الأول منها حين التقى فيه الشاعر بتوابع الشعراء والخطباء، إذ يرى ابن شهيد إن الخطباء أولى بالتقديم لكنه إلى الشعراءِ أشوق، فيتجول في تلك الأرض ويتعرف على توابع الشعراء من أمثال امرئ القيس وطرفة بن عبد وقيس بن الخطيم من الجاهليين، وأبي تمام والبحتري وابي نواس وأبو طيب المتنبي من العباسيين فينشدهم روائع شعره فينال إعجابهم وقد بلغ الاعجاب ببعضهم حتى عدوه مشرقياً.**

**أما الفصل الثاني ففيه يلتقي بتوابع الكتاب ويُسميهم الخطباء فيلتقي بتابعي الجاحظ وعبدالحميد الكاتب فيقرأ لهما رسالته في صفة البرد والنار فإستحسناها ويورد رسالته في الحلواء ثم ينتقل الى وصف برغوث وثعلب. وبعدها يلتقي بتابع بديع الزمان الهمذاني حيث**

**يصف له جاريةً ويصف الماء ويسترسل في حديثه حتى يحظى بإعجاب الكتّاب كذلك وإجازتهم إياه.**

**وفي الفصل الثالث ينتقل ابن شهيد مع تابعه إلى مجلس من مجالس الجن حيث يتدارس معهم ما تعاورته الشعراء من المعاني ومن زاد فأحسن الأخذ ومن قصّر في الأخذ، فيورد أمثلةً ونصوصاً شعرية لشعراء أمثال الأفوه الأودي والنابغة الذبياني وأبي نواس وصريع الغواني وابي تمام والمتنبي وغيرهم من مراحل الأدب العربي وعصوره المختلفة، وفي هذا القسم تبدو براعته الأدبية في تتبع المعاني لدى الشعراء.**